التعلّم الالكتروني في الموسيقى العربية: مشروع ينتظر التحقيق

د. محمد المصمودي (تونس)

مقدمة

أفرز تغيّر نظريات التعلّم وتفاعلها مع تطوّر وسائل الاتصال الحديثة وتعميمها، نمطا جديدا من التعليم يقوم على توظيف التكنولوجيا الرقمية المبتكرة لبناء سيرورة العمليّة التعلّميّة، عُرف بالتعلّم الالكتروني-*e)Learning)*. انتشر نمط التعلّم الجديد في بلدان عديدة وأضحى سبيلا موازيا للتدريس والتكوين وتنمية المهارات، يلجأ إليه كل من وجد في مناهجه وآلياته ومحامله الرقمية ما افتقده في أنماط التعليم التقليدية السابقة. تطوّر نسق الانخراط في التعلّم الإلكتروني بعد المبادرة الرائدة التي أطلقها معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا والمتمثّلة في مشاركته جانبا هامّا من مناهجه الدراسية على الانترنت في صيغة مفتوحة (*OpenCourseWare*) سنة ٢٠٠١. ونمت حركة نشر الموارد التعليمية المفتوحة[١] (*OpenEducationalResources*) عالية الجودة من جامعات وهيئات علمية مختلفة، بجعلها سهلة المنال لطالبيها، مانحة إياها رخص المشاع الإبداعي (*Creative Common Licenses*)، فاتحة بذلك الأبواب مشرعة أمام مختلف الفئات العمريّة في كل أرجاء العالم لتحصيل المعرفة بشكل دائم وحرّ. وخلال العقود القليلة الماضية، انفتح التعلّم الإلكتروني على مختلف الاختصاصات المدرّسة، ووسّع من دائرة تفرّعاتها بغية استقطاب أكبر عدد من المتعلّمين، مثلما أبدع في تنويع وسائله وأدواته لتلائم مختلف الفئات العمريّة، وتلبّي مختلف الاحتياجات. وأضحى التعلّم الالكتروني هدفا أساسيا من أهداف التنمية المستديمة الرامية إلى تأمين الحصول على تعليم ذي جودة عالية للجميع، على نفس القدرمن المساواة، وتعزيز إمكانيات التعلّم مدى الحياة.

استطاع التعليم الموسيقي الغربي أن يكتسب موقعا في المشهد التعليمي المتحوّل من خلال الدروس المجانية التي قدّمتها الجامعات الحرّة وإن كان بشكل محتشم. يكشف الإبحار عبر شبكة الإنترنتعددا من المواقع التي تقدّم مادّة تعليمية موسيقية متنوّعة تتراوح بين الدروس النظريّة والتطبيقية ارتباطا بخصوصيات الموسيقى الغربية ذاتها[٢]. وتبوح الموارد التعليميّة المقدّمة عن الجهد الذي بذله الباحثون والمدرّسون الغربيون في إعادة صياغة المعارف الموسيقية بما يتّفق ولغة التكنولوجيا الحديثة وتفاوت المستويات التعليمية، وتنزيلها على شبكة الانترنت في مختلف الوسائط السمعيّة البصرية، في شكل موارد تعليمية مفتوحة. وفي جانب آخر أُنشأت منصّات التكوين والمواقع الافتراضية المتخصّصة في تقديم تكوين موسيقي إشهادي مجانيّ أو بمقابل ماديّ، ضمن العروض التكوينية العامّة التي تقدّمها، في إطار مشاريع التكوين المهني.

---

[١] وباري، الحسين، "ماذا تعرف عن الموارد التعليمية المفتوحة"، مجلة تعليم جديد، متوفر على التالي
https://www.new-educ.com/open-educational-resources

[٢] لمزيد الاطلاع راجع مثلا:
http://www.open.edu/openlearn/history-the-arts/free-courses#

في سياق التحوّلات السريعة، وخلافا لعدد من التخصصات الأكاديمية، لم تتمكّن مؤسسات التعليم الموسيقي العربية من المساهمة في نشر مناهجها ومواردها بشكل مفتوح وتعميمه لكل الراغبين في التحصيل المعرفي المجاني، من أجل ضمان الحصول على تعليم عالي الجودة، وتعزيز تكافؤ الفرص. واقتصرت عمليّة النشر المفتوحة على جهد فردي، يقدّمه المحترفون والهواة على نفس القدر،في شكل مقاطع سمعية بصرية منشورة على شبكات التواصل الاجتماعي، دون أدنى إحاطة أكاديمية وضمان لسلامة المعلومات المنشورة وصحتها، ودون احترام لحقوق نشرها وتداولها.

وقد دفعنا واقع الحال للبحث في إشكاليات انخراط التعليم الموسيقي العربي في مسار التعلّم الالكتروني، وطرح المعوقات الفكريّة والعمليّة الحائلة دونه. وتحدّدت الإشكاليات حول الأسس الفكرية الكامنة وراء مشروع التعلّم الإلكتروني، ووحول إمكانية تغيير مسار التعليم الموسيقي التقليدي وإخضاعه لنظريات التعلّم الحديثة، والبحث في العوائق الإيبستيمولوجية الحائلة دون تغيير طرق التعليم التقليدية. وقد ارتأيناالانطلاق من عرض ملابسات الإطار المفاهيمي للمسألة، حيث يساهم توضيح مفهوم التعلّم الإلكتروني في تذليل صعوبات الإنجاز.

١. التعلّم الالكتروني وتعدّد الحقل المفاهيمي

تتعدّد المفاهيم الخاصة بالتعلم الالكتروني وتتنوّع المصطلحات المرتبطة به[٣]لتزيد الموضوع تعقيدا وخلطا. وكثيرا ما تركّز المفاهيم المطروحة على جانب واحد من المسألة جاعلة من بقية الجوانب أمرا حاصلا ومحسوما. وعموما تحوم المفاهيم حول ثلاثة محاور رئيسية، تتداخل فيما بينها دون أن تنفصل عن بعضها البعض.

أ. حرّية في المكان والزمان

تركّز جملة من التعاريف الخاصّة بالتعلّم الالكتروني على مسالة حريّة العمليّة التعلّمية في بُعدَي المسافة (التعلّم عن بعد) والزمن، حيث يتحرّر المتعلّم من صعوبات التنقّل إلى مكان التحصيل المعرفي (مدرسة أو معهد أو جامعة أو مركز تكوين) ويصبح قادرا على التعلّم حيث ما أراد، في بيته أو في المكتبة أو غير ذلك، وداخل بلده أو في الخارج. كما يتحرّر من عائق الزمن المضبوطنتيجة ضغوطات الحياة المهنية والاجتماعية المتزايدة، فيختار الزمن المناسب أو المتاح لاكتساب المعرفة، وإنجاز الفروض التقييمية صباحا أو مساء أو في نهاية الأسبوع أو خلال العطل. تكمن أهمّية التحرر المكاني والزماني في إتاحة فرصة التعلّم لشريحة واسعة من المتعلّمين، خصوصا أولئك القاطنين في مناطق بعيدة عن مراكز العمران الكبيرة، حيث تتمركز الجامعات والمعاهد المختصّة، ويصعب التنقّل إليها باستمرار كما يصعب الاستقرار فيها لارتفاع تكلفة الحياة. كما يقدّم حلاّ مناسباللمتعلّمين من ذوي الاحتياجات الخصوصية والإعاقات العضوية، الراغبين في تجويد تكوينهم والارتقاء لمستويات علمية ومعرفية أعلى. تؤكد سيلفين دي غيز هذا الرأي بالقول: "يمثّل التكوين عن بعد والتعلّم الالكتروني الممارس في مختلف مجالات

[٣]على غرار "التكوين عبر الانترنت" (onlinetraining)، و"التعلّم عن بعد" أو "التعلّم الذاتي" (selfLearning)، أو "التعلّم المتنقّل" (mobileLearning) أو "ألعاب التعلّم" (Learninggames) وغير ذلك.

التربية ذروة مفهوم التعليم عن بعد مثلما وقع تصوّره في البدء مع بدايات الراديو (١٩٢٩) والتلفزة (١٩٤٩). ويعدّ التعلّم الالكتروني الموسيقي أو التعلّم الموسيقي عبر الانترنت أحد آخر تطوّراته"[٤].

لكن مبدأ التحرّر الزماني والمكاني لم يكن صارما في مختلف التجارب، بل سعى للتفاعل مع مقتضيات العملية التعلّمية في مستوياتها المتعدّدة ومراحلها المتنامية، وقدّم سُبلا موازية تسهم في تجويد العملية التعلّمية على غرار التعلّم المزدوج[٥](*BlendedLearning*)الذي يتيح إمكانية الاعتماد على تكوين حضوري، ماديّ أو افتراضي، يجمع جملة المتعلّمين في نفس الوقت.

تجدر الإشارة إلى أن تجربة التعلّم الموسيقي عن بعد سبقت التعلّم الالكتروني بعقودولم تكن شبكة الانترنت وفضاء الإعلامية حاضنه الأوّل. ففي تونس مثلا، سُجلت دروس في المقامات والطبوع والإيقاعات على أشرطة كاسيت في ثمانينات القرن الماضي، وتمّ تداولها في نطاق ضيّق بين التلاميذ قبل أن تنتشر في مناطق مختلفة من البلاد. وعلى نفس الشاكلة، سجّل عدد من الأساتذة دروس دعم في نفس المواد لاجتياز اختبار ديبلوم الموسيقى العربية أساسا[٦]. وبقدر مساهمتها في تعزيز المستوى التعليمي ومساعدة المتعلّمين على التمكّن من المعارف المقدّمة، مثّلت التسجيلات مراجع هامّة، إذ قدّمت رؤية كل أستاذ لنظرية المقام أو الطبع وتركيبة أجناسه وأسلوب قراءته والارتجال فيه، وهي تشكّل بالتالي موضوع بحث مقارنتيّ في الموسيقولوجيا وعلوم التربية.مع تسنّم التكنولوجيات الحديثة فضاء الاتصال، تمّت رقمنة مختلف التسجيلات من الكاسيت، واستغلال شبكات التواصل الاجتماعي لبثّها[٧].

ب. عصرنة الأدوات والتقنيات

تركّز تعاريف أخرى على دور الأدوات والوسائل الموظّفة في العملية التعلّمية والتي تنتمي إلى جيل تكنولوجيا الاتصال الحديثة. يفيد الجذر *(e)* السابق للمفردة *(learning)* سمة التكوين وطريقته، على غرار التراسل الالكتروني (*e-mailing*) والتسوّق الالكتروني (*e-marking*) والحجز الالكتروني(*e-booking*) وغير ذلك. لذلك تعتمد العمليّة التعلّمية أساسا على شبكة الانترنت ومختلف الأجهزة القابلة للارتباط بها مثل الكمبيوتر والتكنولوجيا المنقولة، مثل الهواتف الذكيّة أو اللوحات الرقمية، والتي تتخذ من الوسائط المتعدّدة (الفيديو والصورة والصوت) قنوات لتمرير محتوى المادة التعليمية. يأتي تعريف المفوضية الأوروبية في هذا السياق: "التعلّم الالكتروني هو استخدام تقنيات الوسائط المتعدّدة الجديدة والإنترنت لتحسين جودة التعلّم من خلال تسهيل الوصول إلى الموارد والخدمات، وتسهيل تبادل التعاون عن بعد"[٨].

---

[4]Guise, Sylvaine Martin de, « Enseignement à distance de la musique ou l'*e-learning* musical », Intersections, n° 28, Intersection, p. 84

[5]Sacher,M., Sachar M., Vaughan, N., « A BlendedApproch to Canadian First Nations Education », *International Conference e-Learning*, Lisbon, LADIS, 2014, p. 21-28

[٦]نذكر في هذا السياق بالخصوص دروس الأساتذة صالح المهدي وعبد الكريم صحابو وخالد الزديري ومحمد الرخيص وهشام البدراني في المقامات والطبوع وهي ما تزال متداولة في صيغ رقميّة.

[٧]لمزيد الاطلاع راجع مثلا:

[8]ATSOU, Stephan, et al, *L'e-learning une solution pour votre entreprise*, Liège, edipro, 2009, p. 30

لا يتقيّد المفهوم في هذه الحالة بمسألة حريّة المكان والزمان، حيث تتحوّل مختلف عناصر تكنولوجيا الاتصال الحديثة مجرّد وسائل وأدوات حديثة داخل الفصل في المدارس والمعاهد والجامعات. وقد أضحى الأمر واقعا في عدد كبير منها داخل المؤسسات التعليمية في البلدان العربية. تحوّلت فقرات الدرس المكتوبة على سبورة الفصل والرسوم التوضيحية والمقاطع السمعية أو السمعية-البصرية التي كانت تبثّ عبر جهاز الكاسيت أو جهاز الفيديو نصوصا معروضة ومقاطع مسموعة ومشاهدة عبر الكمبيوتر ومسجّلة على أقراص ليزرية. وحتى التمارين التقييمية المدرجة في صفحات الكتاب المدرسي نقلت على وسائط رقمية ووزّعت مع الكتاب لتحفيز المتعلّم على إنجازها وتعويده تدريجيا على ولوج عالم التكنولوجيا الحديثة والتمكّن من تقنياتها. "تمنح تكنولوجيا المعلومات والاتصال من أجل التعليم سندا بيداغوجيا إبداعيّا باستعمال تمشيات تقنية متطوّرة في الوسائط المتعددة من أجل تجديد نظم التعليم السائدة والمساهمة في عصرنتها"[٩].

استفاد التعليم الموسيقي الذاتي من التكنولوجيا الحديثة بشكل مثير، ويكفي المرور عبر شبكات التواصل الاجتماعي اليوم للوقوف على كم مقاطع الفيديو الخاصة بتعلّم الآلات الموسيقية أو دروس النظريات الموسيقية وقراءة الكتابة الموسيقية وغير ذلك، إضافة إلى مختلف المقاطع التوجيهية لاستعمال البرمجيات ذات العلاقة بالممارسة الموسيقية. ويتأكّد مستوى اهتمام المتابعين الدروس من خلال الوقوف على حجم تداولها والتعبير عن الاعجاب بها وتثمينها[١٠]. لكن وجب التأكيد على أن مجمل هذه المقاطع لا ترتبط ضرورة بسياق التعلّم الالكتروني، ولا تمثّل موارده التعليمية الرئيسيّة، إلا ما ندر منها. تبرز أولى نقاط ضعفها في كونها ها لا تخضع جميعها لرقابة علميّة وغير مصادق عليها من طرف هيئات علمية وتربوية مختصّة تضمن سلامة محتواها وتطابقه مع كل مرحلة تعليمية. كما أنها لا تتّبع منهجا بيداغوجيا واضحا يضمن سهولة تمرير محتواها واستيعابه من قبل المتعلّم. وهي لا تُتبع بتأطير مرشد متخصّص يساعد المتعلّم على تجاوز صعوبات التعلّم ويصوّب له الأخطاء الحاصلة، كما لا تختتم باختبارات تقييمية تبيّن المستوى الحقيقي الذي بلغه المتعلّم للمرور إلى مستويات متقدّمة. لذلك لا يمكن التأكّد من فاعلية المقاطع والدروس المقدّمة. يشير جابر المنيفي إلى هذه المسألة بالقول: "ظهر جيل جديد من شبكات الويب أطلق عليه (*web 2.0*) ويطلق عليها أيضًا في كثير من الأحيان الشبكات الاجتماعية (*SOCIAL WEB*) وهي لا تصلح لأن تكون مصادر للتعليم والتعلم لغياب الضبط الأكاديمي للمصدر مما يضعف الثقة في المحتوى ودقته وسلامته ولكن لايمنع ذلك من إمكانية توظيفها في أنشطة تبادل الأدوار والأنشطة والإسهامات تحت سمع وبصر المعلم الذي يتحمل مسئولية المراجعة والتدقيق فيما يتم تبادله بين مجموعته"[١١].

---

[9] Guise, Sylvaine Martin de, Op. Cit, p.87

[١٠] يمكن الاطلاع على نماذج منها في المواقع التالية:

https://izif.com/ar
/http://www.musiqana.net
https://www.youtube.com/user/kotacademy
https://www.youtube.com/channel/UCV004R1Ar5P3mkcyYGqkXMA

[١١] المنيفي، جابر، "التعليم الالكتروني إلى أين؟"، الكويت، موقع الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب،
http://www.paaet.edu.kw/mysite/Default.aspx?tabid=7800&language=en-US

ت. ثورة نظريات التعلّم

تركّز تعاريف أخرى علىالجانب البيداغوجي أساسا، وتربطه بالتحوّلات الهامة التي شهدتها نظريات التعلّم حيث حوّلت محور العملية التعلّمية من المدرّس إلى المتعلّم ذاته، واستبدلت التلقين بالبناء المعرفي المشترك. لقد أثبتت الدراسات المعمّقة حول نظريات التعليم والتربية عدم فاعلية النماذج المعيارية المرتكزة على التلقين وقصورها إزاء الانفجار المعرفي الذي يشهده العالم، والتي يكون الطالب فيها مجرّد متقبّل لما يقترحه المدرّس من معرفة وبالتالي تابعا له وغير قادر على بناء استقلاليته التعليمية. لقد جعلت طرق التعليم التقليدية من المعلّم (المدرّس) مركز الاهتمام ومصدر المعلومة الوحيد، وتحكّمت الدوائر الرسميّة في محتوى المعلومة المقدّمة، خصوصا إذا ما تعلّق الأمر بالجوانب التاريخية والاجتماعية والإنسانية والذوقية الفنية."وقد أظهرت الدراسات ضرورة العناية بدوافع الأفراد للتعلّم والمعرفة وبالتالي استغلالها لزيادة التعلّم وتوجيهه، وبهذه النظرة الحديثة للتدريس يزداد دور المتعلّم في مقابل تقليل دور المعلّم"[١٢]. أضحى الطالب مشاركا في عمليّة بناء المعرفة، وباتت منهجيّة البحث وثيقة الارتباط بمرحلة الدراسة. ترتكز استراتيجيات التدريسالحديثة على أسس بيداغوجية مستجدّة تعتمد على النظرية البنائية أو البنائية الاجتماعية، حيث تُبنى المعرفة عبر إنجاز مشاريع تعليمية يكون فيها البحث قاعدة للتعلّم لتعزيز مبادئ التفاعل مع النزاعات الاجتماعية المعرفية المطروحة بروح إبداعيّة وتشاركيّة. ومن هنا تتأتى أهميّة الاعتماد على المصادر المفتوحة عبر شبكة الانترنت في عملية البناء وتبادل الرؤى ومناقشتها.

ث. رؤية تأليفية

يلامس جوهر الموضوع مختلف الزوايا المشار إليها آنفا ويؤلّف بينها.تربط التحوّلات العميقة التي شهدتها نظريات التعلّم وثيقا بالتطوّرات الهائلة في وسائل الاتصال الحديثة، والتي مكّنت من نشر كمّ هائل من المعلومات والمراجع والكتب والتقارير والبحوث في صيغ رقميّة وجعلها في متناول الجميع، سعيا وراء خلق "مجتمع المعرفة". لم يكن بالإمكان دفع المتعلّم نحو البحث عن المعارف ومقارنتها ومناقشتها لو لم تكن في متناوله بشكلها فيّاض. كما لم يكن باستطاعة المتعلّم بناء معرفة تشاركيّة لو لم تكن وسائل الاتصال الحديثة متطوّرة. ولم يكن بالإمكان تطوير التعلّم عن بعد بالكيفية الناجعة والسريعة لو لم تكن شبكة الانترنت مفتوحة على مدار الساعة للولوج إلى المعطيات اللازمة في كل مكان وزمان.يحيد التعريف المركّز على الوسائل والتقنيات عن جوهر المسألة برمّتها والتي تدفع نحو تعلّم ذاتي وخلاّق، تدفعه الرغبة في التحصيل المعرفي وتعميق المهارات والارتقاء نحو مستويات أفضل. قد تتوفّر للفرد أو للمجتمع آخر مبتكرات تكنولوجيا الاتصال الحديثة وقد يتملّك مهارات استعمالها، لكنّ توظيفها وفق رؤية خلاّقة ومبدعة لغرض التعلّم يشترط التخلّص من طرق التدريس التقليدية القائمة على أحادية العلاقة بين المعلّم والمتعلّم."يسمح هذا النوع البيئي لمستخدميه بالتفاعل مع الآخرين ومع وكلاء غير طبيعيين، كما يسمح

[١٢] شاهين، ٢٠١١، ص. ١٩

بالحصول على عناصر تكوينية من كل نوع والتي تمثّل موارد لأنشطة التعلّم، وتهدف لتسهيل بناء المعنى، لا سيّما عبر تمشيات مشتركة لنشوئه".[١٣]

وقد تكون حرّية المكان والزمان محدودة أمام ضرورة التأطير المباشر مثلما أشرنا سابقا، من خلال اتباع صيغة تعليمية مزدوجة تمزج بين التعليم الحضوري والتعلّم عن بعد. تشير سيلفي دي غيز في هذا السياق:

> "ينطلق التعلّم الالكتروني من مبدأ تزويد الطالب بجميع الأدوات وموارد التكوين الذي اختاره (...) تتكوّن آلية التكوين هذه من حصص حضورية. وهو ما يعني تنظيم لقاء بين المدرّس والطالب (الطلبة) في وقت وتاريخ محدّدين. تتبع الحصص الحضورية بدورات عن بعد: فهي توفر للمتعلّم فرصة العمل على محتوى درس منشور على موقع على الانترنت بحسب إمكاناته واستعداداته في الزمن والمكان المختارين (في المساء، في نهاية الأسبوع، في بيته أو في الخارج) أخيرا يمكن للمتعلّم أن يبقى على اتصال بمرشد، وهو الصيغة المعدّلة للمدرّس التقليدي، وكذلك بزملائه الطلبة عبر المنتديات أو عبر مؤتمرات الفيديو (*visioconférence*)"[١٤].

٢. مزايا التعلّم الالكتروني وتناقضاته

تبرز أهميّة التعلّم الإلكتروني في القيم النبيلة التي يطرحها للبشرية حول نشر المعرفة وتقاسمها وتبادلها في كل أنحاء العالم، وتعزيز روح التشارك المعرفي وتقاسم الخبرات من أجل خير الإنسانيّة. وتبرز مزايا التعلّم الالكتروني في قدرته على توفير الكمّ الهائل من المعرفة على وسائط متعدّدة، وتحقيق البيئة التفاعليّة المناسبة بين أقطاب العملية التعلّمية الثلاث (المتعلّم والمرشد والمعرفة). تبنّت جامعات افتراضية عديدة القيم ذاتها منذ مبادرة ماساتشوسيس الرائدة. فعلى سبيل المثال، حدّدت جامعة تونس الافتراضيّة أهدافها فيجملة من النقاط، منها[١٥]:

- تحقيق التكوين غير الحضوري وتعميمه من أجل جعله إشهاديّا ومعتمدا
- دمج نسبة التعليم غير الحضوريفي الجامعات الأخرى
- تسهيل نشر ثقافة التكوين المستمرّ والتعلّم مدىالحياةعبرتكنولوجيا المعلومات والاتصالات
- تعزيز تكافؤ الفرص في مجال التعليم العالي، ومحاربة الاستبعاد والعمل للوصول إلى أكبر عدد من الجمهور المستهدف خارجدائرة الطلاب المنتظمين

في جانب آخر، قدّمت دراسات ميدانيّة عديدة وجها مضيئا لنتائج التعلّم الالكتروني باعتبار قدرته على إحداث تغيير جذري في اكتساب المعارف وتطوير القدرات التعلّمية لدى مختلف الشرائح العمريّة. في هذا الصدد تؤكد مجموعة من الباحثين:

---

[13]Olliagnier-Beldam, Magali, Mille, Alain, « E-learning : Tracer l'activité des apprenants pour favoriser leurs appropriation des systèmes », *Revue du management technologique*, n° 15, PUG, 2008, p. 69

[14]Guise, Sylvaine Martin de, Op.Cit., p. 88

[١٥]للاطلاع على جملة الأهداف والأسس النظرية راجع وثيقة "المخطط الاستراتيجي ٢٠١٦-٢٠١٩" على الموقع الرسمي للجامعة، حسب الرابط التالي:

http://www.uvt.rnu.tn/documents/plan-strg-uvt.pdf

"إن التعليم القائم على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات يساهم في تحسين المهارات المعرفية والعاطفية واللغوية، ومعرفة القراءة والكتابة للطفل. إن الأطفال الذين يستخدمون وسائل التعليم الالكتروني يكونون أسرع تعلماً وأكثر ابتكاراً، كما أظهروا تحسنا في المهارات الحسابية. فالأطفال يشاركون بفاعلية في العديد من الأنشطة من خلال الحاسوب، مثل: القيام بالواجبات المدرسية، والألعاب، والحديث مع الأصدقاء عبر الشبكات الاجتماعية، وتصفح الإنترنت. أظهراستخدام التعليم الالكتروني تحسناً كبيراً الأداء الدراسي، والدافع لدى الطلاب، والمشاركة في الفصل. إن أدوات التعلم الإلكترونية –المصممة عن طريق الوسائط المتعددة– تساعد الأطفال على التعلم من خلال الدروس الممتعة والألعاب"[١٦].

بيد أن قراءة نقدية للقيم والأهداف التي انبنى عليهافكر التعلّم الالكتروني تفرض نفسها في ظل الواقع العولمي الملموس. ففي جانب، تبرز أولى التناقضات في البون الشاسع بين تكاليف العملية التعلّمية الحديثة وما تستلزمه من بيئة تكنولوجية متطوّرة، وبين حالة الفقر والخصاصة التي تسم بلدان عديدة في العالم. يصبح التعلّم الالكتروني في ظل هذا الواقع غير متاح للجميع مثلما نصّت عليه الأهداف العامة. وتبقى فرص الانتفاع بالانفجار المعرفي الذي شهدته شبكة الانترنت متاحة للقادرين على امتلاك أدوات الوصول إليها، أو رهينة مشاريع المنظمات التربوية والإنسانية الدولية. وفي جانب آخر، تحول إمكانيات البلدان الفقيرة أو السائرة نحو التنمية في صياغة مواردها التعليمية الخاصّة بها، والنابعة من خصوصياتها الاجتماعية والثقافية والمنطلقة من عمق تجربتها الحياتيّة. وستكون مثل هذه البلدان ومتعلّميها منساقة نحو استهلاك المعارف المفتوحة على شبكة الانترنت وتبنّي محتوياتها، إما طوعا بفعل الاغتراب العلمي والثقافي، أو إكراها بفعل العوز وقلة الحيلة.

في ظل هذه التناقضات، يبرز مشروع الانخراط في مسار التعلّم الالكتروني والمساهمة في نشر الموارد التعليمية الخاصّة بالموسيقى العربية هامّا وضروريّا، انطلاقا من دوره في تعزيز الانتماء بالهويّة الموسيقية العربية وفي تأصيل نشرها وتداولها عبر مبتكرات التكنولوجيا الحديثة.

٣. حقل التعلّم الالكتروني الموسيقي الغربيّ

تظهر نتائج البحث التي أجريناها حول حقل التعلّم الإلكتروني في المجال الموسيقي اتساع الأخير إلى مجالات عدّة بعد أن اتّجه صوب فئات عمرية متعدّدة، وسعى لاستقطاب فاعلين مختلفين في الحقل الثقافي والموسيقي، وتقديم عروض تكوين متنوّعة في مادّتها وفي طريقة تلقّيها. لا تقتصر عروض التعلّم والتكوين على إتقان العزف مثلما يتصوّر البعض، بل تشمل نظريات الموسيقى والهرمنة والقوالب والأنماط الموسيقية وتاريخ الموسيقى. كما تتوجّه كذلك لاختصاص الإيقاظ الموسيقي الموجّه للأطفال في المؤسسات التربوية (مرحلة التمدرس وما قبلها)، والتكوين في برمجيات الصوت والتسجيل والكتابة الموسيقية.

[16]Ganie, Muzafar A. and all, « Impact of E-learning on Child Education and Development in Rural Areas of India », Internatioonalconference on eBusiness, eMannagement, eLearning and eGonernance, London, University of Greenwich, 2014, p. 78

يتّخذ التعلّم الالكتروني عموما شكلينأساسيين بحسب السياق التعلّمي الذي يُقدَّم فيه والإطار الذي يتأطّر فيه، وحسب الفئة العمرية المعنيّة أو المستهدفة.

أ. في سياق المسار التعليمي الرسمي

يهمّ أساسا تلاميذ المدارس الإعدادية والمعاهد الثانوية وطلبة مؤسسات التعليم العالي، ويشكّل أساس التمشيات البيداغوجية الحديثة، حيث تنبني مراحل الدرس من خلال الجهد البحثي والاستقصائي الذي ينجزه المتعلّم بمساعد المعلّم-المرشد، وتكون النتائج الأوّلية منطلقا للتحلل والنقاش والنقد والتحقّق وإعادة الصياغة لبناء معرفة جديدة. توفّر شبكة الانترنت جملة من الموارد التعليمية المفتوحة في شكل كبسولات معرفيّة، في نظريات الموسيقى الغربيّة الأساسية وقواعدها، وقوالبها اللحنية، وتاريخها، وغير ذلك.

ب. في سياق التكوين الذاتي والمهني

يكون في الغالب خارج سياق المسار التعليمي، وعبر العروض التي تقدّمها مراكز التكوين الافتراضية[١٧]. ويستهدف جمهور الأُجراء في المؤسسات والشركات، الراغبين في تعميق مهاراتهم في إحدى التخصّصات المرتبطة بمقتضيات الانتداب أو الارتقاء المهني (ضمن مشاريع تأهيل المؤسسات مثلا)، كما يستهدف خريجي المعاهد العليا والكليات الراغبين في تعميق تكوينهم الجامعي وتنويعه. وعادة ما يهمّ التعلّم فئة الشباب والكهول، إذ يُقبل عليه المتعلّم طواعية، ويلتزم بضوابط الدورات التكوينية واستحقاقاتها. لذلك، تتمايز دورات التكوين وتتفاوت تكلفتها بما تقدّمه من شهائد مصادق عليها، تفيد اجتياز المتعلّم لمراحل التكوين بنجاح. يشترط التكوين حدّا أدنى من التعامل مع الفضاء التكنولوجي الحديث (استعمال الحاسوب والابحار عبر شبكة الانترنت ...). يختلف أسلوب التواصل بين المتعلّم والأستاذ المشرف وباقي المتعلّمين في نفس الدورة بين التعلّم المتزامن والتعلّم غير المتزامن. يمنح الأوّل فرصة التواصل الحيني مع أفراد المجموعة لمناقشة المحتوى المعرفي وتبادل الآراء والمقترحات أو إنجاز عمل مشترك عبر منصات التواصل الحيني. ويمنح الثاني ظروف التعلّم الفردي الحرّ حيث يستقل كل متعلّم عن باقي أقرانه والعمل بحسب قدراته في استيعاب الدروس المقدّمة. لكن لا يشترط بالضرورة متابعة مباشرة وحينية من طرف أستاذ أو مشرف، حيث يمكن أن تتحدّد مراحل التعلّم في اتباع التوجيهات المعروضة وإنجاز التمارين التطبيقية والتقييمية المضمّنة في كبسولات التعلّم. ويقتصر دور المرشد على متابعة العمليّة من خلال الإجابة عن التساؤلات الممكنة وإصلاح اختبارات التقييم. لذلك يمكن أن تكون دورات التكوين هذه عن بعد بالكامل.يقدّم موقع إيليفورم على سبيل المثال عروضا للتعلّم الكتروني في التدرّب على التقاط الصوت ومزجه داخل الاستوديو أو في المباشر، وتسجيل الأعمال الموسيقية وكذلك كتابة النوتة الموسيقية. يقترح الموقع تكوينا في ببرمجيات الصوت والموسيقى المسيّرة بالإعلامية،

---

[١٧] راجع على سبيل المثال المواقع التالية:

https://www.diigo.com/o/f3xd77/CrossKnowledgeFormationLeadership
http://www.onlineformapro.com/
https://gestiondeprojet.pm/
http://www.daveconservatoire.org/
https://alison.com/topic/learn/32704/intro-to-music-theory-part-i

على غرار "كيوبيس" (*Cubase*) و"سيبيليوس" (*Sibelius*) و"أبليتون" (*Abliton*) و"فينال" (*Finale*) و"ريزن" (*Reson*) و"بروتولز" (*Pro Tools*)، وغير ذلك. تستغرق مدة التكوين عددا محدودا من الأشهر وتختلف الفترة باختلاف عدد الدورات[١٨].

٤. التعلم الالكتروني للموسيقى العربيّة

لمّا كان التعلّم الالكتروني عمليّة ذاتية بالأساس يضطلع فيها المتعلّم بدور رئيس في تحصيل المعارف والمهارات، فإن أبرز العوائق الايبستيمولوجيةالحائلة دونه تتمثّل في التشبّثبآليات التعليمالموسيقي التقليدية المعتمدة أساسا على العلاقة الهرميّة بين المعلّم والمتعلّم، وعدم تصوّر إمكانية تجاوزها واستبدالها بآليات أكثر تحرّرا.تستمدّ الآليات القديمة وجودها من ثقافة المشافهة التي وسمت تواتر التراث المادي واللامادي واستمراره عموما، وتداول الخطاب المقامي-الإيقاعي بمختلف جزئياته المحليّة بالخصوص.يعتقد عدد من المدرّسين أناكتساب مهارة الأداء الموسيقي لن تتحقّق إلا بتوفّر شرط تلقينها وتلقّيها من المعلّم وفق الرؤية المنهجيّة التي يرتئيها، وأنّ أيّ خلل في مستوى التقبّل والتنفيذ يعود سببه إلى المتعلّم الذي لا يتمتّع "بالموهبة" الكافية. خلال هذا التمشّي، تُقصىرؤية المتعلّم الجدليّة والنقديّة لمجمل المعارف الجديدة، والمرتبطة خصوصا بطرق التنفيذ والصياغة، حيث يغيب تحليل التقنيات المقترحة (في الأداء الآلي أو الصوتي مثلا) وتفكيكها وإعادة تشكيلها، أو اكتشافها ذاتيّا بعد سلسلة من التجارب والمحاولات لاختيار الأفضل منها، حسب قدراته وقناعته. وخلال هذا التمشّي يتشبّث المعلّم بصفته ومكانته الاعتبارية، خصوصا إذا ما ارتبط الأمر بإرساء "مدرسة" في اختصاصه. لذلكيُعدّاستقلال المتعلّم عن المعلّم الحاضروعن خططه المعتمدة في تقديم الدرس وتصويب "أخطاء"تلقّيه،ضربا من التمرّد عن قواعد التعليم المتواضع عليها. تحول هذه العوائق إذا دون تصوّر مسار تعلّمي جديد يقوم على مبدأالخلق والإبداع لاكتساب مهارات التنفيذ والأداء والصياغة ارتباطا بجوهر النظريات الحديثة، حيث يتمّ تحفيز ملكات المتعلّم لاختيار وضعيات التعلّم والوقوف على الصعوبات والعوائق التي يواجهها، والمساهمة في إيجاد سبل حلّها وتجاوزها.

تفرز محاولة التوفيق بين القديم والجديد خطّا وسطيّا يقبل ظاهريّا بالمستجدّ من التكنولوجيات الحديثة وإمكانية توظيفها في الدرس الموسيقي، لكنّه يتشبّث بالخط القديم لتمرير المهارات والمعارف، باعتباره الطريق الأمثل لتحقيق النتائج المرجوّة، وقد يكون مغيّبا لدور المتعلّم في بناء معارفه، وهو ما يتناقض مع جوهر النظريات التعلّمية الحديثة. تقول سيلفين دي قيزفي هذا السياق: "بالفعل يجب إضافة التعلم الالكتروني إلى أدوات التدريس التقليدية والمتفق عليها من أجل بناء نسخة عصرية لمهنة الموسيقى. تظهر لنا التجربة أن التكوين المتخصص لا يزال يتطلب اتباع الخطوط العريضة للتدريس التقليدي المتضمّن الصرامة الضرورية لتحقيق تكوين ذي جودة"[١٩].

تنقسم مشاريع الموارد التعليميّة المفتوحة حسب تصوّرنا إلى محورين رئيسيين:

---

[١٨] راجع الموقع الرسمي على العنوان التالي:

http://www.elephorm.com/audio-mao.html

[19] Guise, Sylvaine Martin de, Op. Cit., p.89

أ. محور نظري

يهتمّ بنظريات الموسيقى العربية وتاريخها وأبرز قوالبها الغنائية والآليّة وأنماطها (الشعبية والتقليدية والمعاصرة)، ويقدّم مادة الاستماع والتذوّق، ويستعرض ما أمكن من الآلات الموسيقية التقليدية والشعبية.

ب. محور تطبيقي

يهتمّ بتقنيات أداء الموسيقى العربيّة وطرقها، من عزف وغناء وارتجال مقامي وقراءة مقامية وإيقاعية، بدءا بالألعاب الإيقاعية واللحنيّة. كما يمكن الاستفادة من بقية التجارب العالميّة لصياغة موارد خاصة بالبرمجيات الحديثة وفق ما تقتضيه خصوصيات الموسيقى العربية اللحنيّة والإيقاعيّة.

ويبقى الحقل قابلا للانفتاح على اختصاصات علميّة أخرى مثل الموسيقولوجيا وعلم الآلات وعلم الصوتيات، والعلوم الإنسانية والاجتماعية المرتبطة بالموسيقى (علم اجتماع الموسيقى، أنثروبولوجيا الموسيقى، وعلم النفس التربوي، والعلاج بالموسيقى، وغير ذلك.

في جانب آخر، وفي سياق الاهتمام بالجانب البيداغوجي، تؤكد التوصيات الخاصة بإنتاج الموارد التعلّميةالمفتوحة على ضرورة توفّر الشروط التالية:

- جودة المحتوى المقدّم ودقّته
- مواءمته مع أهداف التعليم
- قدرته على التحفيز
- تصميم المعلومات المقدّمة
- سهولة الوصول إليه داخل الشبكة
- تصريح الترخيص الخاص بتداولها أو إعادة مزجها أو إعادة نشرها من جديد

الخاتمة

سعينا من خلال هذه الورقة لبسط موضوع التعلّم الإلكتروني الموسيقي وطرحه للنقاش بعد أن بدت لنا أهميّة مقاصده القِيَميّة والبيداغوجية. وقد تبيّن لنا أن جوهر الموضوع يكمن في بناء جيل موسيقيّ خلاّق لا يكتفي بتلقي المعلومة وتنفيذها بل يعبّر عن واقعه وأحلامه وتطلّعاته بفكر نقديّ وبشكل حرّ وتشاركيّ. وتبيّن لنا أن الإشكالية المطروحة تكمن في البحث عن الآليات الأكثر نجاعة لصياغة موارد تعليمية مناسبة، والكفيلة بتحقيق الأهداف المنشودة.

تكمن أولى التحديّات في التخلّص تدريجيا من آليات التدريس التقليدية والمرتكزة على قاعدة التلقين في المواد التطبيقية بالخصوص. يتطلّب الانتقال إلى الضفة الأخرى حسّا إبداعيّا خلاّقا يتصوّر طرقا لتدريس الآلة أو لتبليغ الخطاب المقامي تعتمد على تشريك المتعلّم و"توريطه" في العملية التعلّمية، بتقديم رأيه وفكرته بكل حريّة

ودون خوف من إمكانية الخطأ. ويرتبط التحدّي الثاني بضرورة الالمام بالمستجدّ من التكنولوجيات الحديثة بغية تطويعها لفائدة بناء الموارد التعليمية الخاصة بالموسيقى العربية.

يدفعنا أبناؤنا المرتبطون وثيقا بمختلف عناصر البيئة التكنولوجية نحو الاستفادة من نمط التعلّم الالكتروني لتقليص الفجوة المعرفية ودفع مزيد من المتعلّمين لتلقي العلم والمعرفة. وإزاء ذلك يتوجّب الانتباه من مخاطر نمذجة التدريس الموسيقي مناهجا ومحتوى، عبر ربطه بمستقبل التكنولوجيات الحديثة فحسب، والارتهان لكل جديد تكنولوجي من طرف شركات الاحتكار العالمية. تفرض قيم الانفتاح والتحاور تبادل الخبرات المعرفيّة المتولّدة من عمق التجربة الإنسانية، وهو ما يستوجب أساسا تثمين المعرفة الشعبية المحليّة، واعتمادها أساسا لبناء معارف جديدة.

قائمة المراجع

أوباري، الحسين، "ماذا تعرف عن الموارد التعليمية المفتوحة"، مجلة تعليم جديد، متوفر على التالي

https://www.new-educ.com/open-educational-resources

خضير، عباس نوري، "التعليم الإلكتروني"، بغداد، جامعة بابل، متوفر على الموقع التالي:

http://www.uobabylon.edu.iq/eprints/pubdoc_2_27578_1161.doc

المنيفي، جابر، "التعليم الالكتروني إلى أين؟"، الكويت، موقع الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، متوفر على الموقع التالي

http://www.paaet.edu.kw/mysite/Default.aspx?tabid=7800&language=en-US

ATSOU, Stephan, et al, L'e-learning une solution pour votre entreprise, Liège, edipro, 2009, 144 p.

Digolo, B. a.,Andang'o, E., Katuli, J, « E-Learning as a Strategy for Enhancing Access to Music Education », International Journal of Business and Social Science, Vol. 2, N° 11, 2011, p. 135-139

Ganie, Muzafar A. and all, « Impact of E-learning on Child Education and Development in Rural Areas of India », Internatioonalconference on eBusiness, eMannagement, eLearning and eGonernance, London, University of Greenwich, 2014, p. 78

Guise, Sylvaine Martin de, « Enseignement à distance de la musique ou l'e-learning musical », Intersection, n° 28, p. 84-108

Kurniawan, Yohannes, Wijaya, Linda, « E-Learning Development for IndonesianTraditional Music », International Journal of Multimedia and Ubiquitous Engineering, Vol. 9, N°. 7, 2014, p. 27-34

Olliagnier-Beldam, Magali, Mille, Alain, « E-learning : Tracer l'activité des apprenants pour favoriser leurs appropriation des systèmes », Revue du management technologique, n° 15, PUG, 2008, pp. 67-83

Sacher,M., Sachar M., Vaughan, N., « A BlendedApproch to Canadian First Nations Education », International Conference e-Learning, Lisbon, LADIS, 2014, p. 21-28

المواقع الافتراضية:

https://www.diigo.com/o/f3xd77/CrossKnowledgeFormationLeadership

http://www.onlineformapro.com/

https://gestiondeprojet.pm/

http://www.daveconservatoire.org/

https://alison.com/topic/learn/32704/intro-to-music-theory-part-i

http://www.elephorm.com/audio-mao.html

http://www.uvt.rnu.tn/documents/plan-strg-uvt.pdf

http://www.open.edu/openlearn/history-the-arts/free-courses#

https://izif.com/ar

http://www.musiqana.net/

https://www.youtube.com/user/kotacademy

https://www.youtube.com/channel/UCV004R1Ar5P3mkcyYGqkXMA